دور الشعوب الجرمانية في حضارة الغرب بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية

إعداد

محمد جمال مبارك أحمد علي

باحث في تاريخ وحضارة العصور الوسطى

DOI: 10.21608/jfpsu.2021.32565.1004

مستلخص البحث

لم تكن التحديات التي واجهتها الإمبراطورية الرومانية في القرون الباكرة بعد الميلاد تحديات سياسية واقتصادية وعسكرية فقط. لقد وصلت تلك التحديات إلى مستوى أعمق من ذلك عندما تغلغلت في المُكوِن الثقافي والحضاري الذي اصطبغت به أوروبا لعدة قرون منذ أن صارت جزءً من العالم الروماني. لقد انقلبت الموازين رأسا على عقب في عالم ما بعد أوروبا الرومانية، حيث استطاعت الشعوب الجرمانية أن تفرض واقعا على الأرض ورسمت خارطة جديدة لأوروبا بعدما استولت على الغرب الروماني بما فيه إيطاليا نفسها. كانت أوروبا الجديدة التي ظهرت هي مزيج يتألف من عدة عناصر هي: الممالك الجرمانية الحديثة النشأة، والتراث الروماني القديم، والمسيحية الكاثوليكية.

الكلمات المفتاحية:

الإمبراطورية الرومانية – القرن الخامس الميلادي – الشعوب الجرمانية – أوروبا الغربية – المسيحية الباكرة

The Role of the Germanic People in the Western Civilization after the Fall of the Western Roman Empire

Mohamed Mubarak

Abstract

In fact, civilizations arose in response to some set of challenges. The Roman Empire did not face political, economic and military challenges only. It also witnessed a deeper level of challenges that transformed the cultural component of the Roman Europe. The Germanic tribes created a new map for Europe after the end of Roman rule in the West, including Italy itself. The world of post-Roman Europe that emerged was a mixture of several elements: the new Germanic kingdoms, the ancient Roman heritage, and Catholic Christianity.

Key Words:

Roman Empire – Fifth Century A.D. – Germanic Tribes – Western Europe – Early Christianity

لقد اعتاد أصحاب الحضارت القديمة الكبرى أن يمجدوا في حضاراتهم وأن يقارنوا أنفسهم بجيرانهم من الشعوب التي تحيط بهم، وينظروا لهم في كثير من الأحيان بنظرة ممزوجة بالتعالي والازدراء. لقد كان المواطن اليوناني يفخر بمؤسساته السياسية المُتحضره وأسلوب حياته غير البدائي وما أنتجته حضارته من فنون وعلوم وآداب، مما جعله يتصور أن له التفوق المُطلق على بقية الشعوب التي تفتقر لمثل هذه الأنماط الحضارية. ومن المعروف أن الإغريق كانوا أول من وضع كلمة "بربري" حين كانوا ينظرون بازدراء شديد لكل ما هو دون الحضارة اليونانية. وقد طبّق الكتاب اليونانيون ذلك المفهوم ودون تمييز على الشعوب الأخرى التي تجهل الحضارة والثقافة اليونانية[١].

على مدار قرون بدأت تلك النظرة المتعالية من قِبل الإغريق تتفاقم حتى صارت بعد ذلك نعرة حادة ضد أية شعوب تختلف عن الإغريق وتفتقر لقواعد المدنية واللغة اليونانية والمُثل الفنية والأدبية التي ميزت نظام دولة المدينة. بعد ذلك تلقى الرومان ما كان لدى الإغريق من تراث حضاري رصين وزاوجوه بما لديهم من مقومات فخرجت الحضارة الرومانية العظيمة. كان من بين ما ورثه الرومان من حضارة اليونان هو مصطلح الهمجية والبربرية. أطلق الرومان بعد أيضا كلمة "بربري" على كل شعب لا يضاهيهم في الثقافة والحضارة. من ثم فإن مصطلح البربرية قد تَرَسخ في العالمين اليوناني والروماني وراحت تتوارثه الأجيال[٢].

ظل مفهوم البربرية يتطور داخل المجتمع الروماني حتى صار يُطلق على الشعوب الجرمانية التي أصبحت تهدد كيان الإمبراطورية وتطمع في حدودها لعدة قرون[٣]. إذا كان مصطلح "الجرماني" هو العِرق

[1]W. R. Jones, "The Image of the Barbarian in Medieval Europe", *Comparative Studies in Society and History*, vol. 13, No. 4 (Oct., 1971), pp. 376-407; W. Goffart, "Rome, Constantinople, and the Barbarians", *American Historical Review*, vol. 86, No. 2 (The University of Chicago Press, Apr., 1981), p. 277.

[2]P. J. Geary, "Barbarians and Ethnicity", *Interpreting Late Antiquity: Essays on the Postclassical World*, (Cambridge: Belknap Press of Harvard University Press, 2001), p. 107.

[٣] من ناحية أخرى كان يُنظر إلى المسيحية من قِبل الكتاب والمؤرخين الوثنيين على أنها طقس بربري، لكن منذ القرن الرابع فصاعدا، أي بعد الاعتراف بالمسيحية، تحالفت المسيحية مع الإمبراطورية وصارا كيانا واحد، حتى باتت كلمة روماني تشير إلى الشخص المسيحي الذي ينتمي سياسيا إلى الإمبراطورية الرومانية. ومنذ القرن الخامس كان مفهوم البربرية قد بدأ يتحول إلى الوثنية أو الأريوسية المسيحية. ظل تحول الكلمة لمعنى دينى مستمرا حتى نهاية القرن السابع نتيجة تحويل الكنيسة الكاثوليكية المفهوم إلى معنى آخر مرادف للوثنية أو الهرطقة الأريوسية. انظر: Jones, "Image of the Barbarian", p. 380.

أو القومية التي تنتمي إليها تلك الشعوب البدائية فإن مصطلح "البربري" كان هو الوصف الروماني الدال على النمط الحياتي للعنصر الجرماني. لقد أصبحت كلمة "البرابرة" تعني لدى الرومان كل الشعوب القاطنة فيما وراء نهري الراين والدانوب[١]. لقد تعامل الرومان مع البرابرة الجرمان بنفس الطريقة التي تعاملوا بها مع غيرهم من الشعوب البدائية. لم يهتم الرومان جدياً بالتعمُق في النمط الاجتماعي والسياسي المُتبع عند تلك القبائل الجرمانية ومحاولة فهمه، بل اتبع أكثرهم الأسلوب التقليدي في تصوير مدي تخلفهم عن الصورة النمطية للحياة الرومانية[٢]. وقد كان كل من القانون والتراث الكلاسيكي من وجهة نظر الرومان هما ما يميزان الرجل الروماني عن الرجل البربري[٣].

في العقود القليلة الأخيرة بدأت الدراسات التاريخية تهتم اهتماما جادًا بحياة العناصر الجرمانية ونُظمها الاجتماعية والثقافية، وكيف أثرت وتأثرت بالحضارة الرومانية[٤]. وهناك من يرى بأن الأمر كان أعقد من مجرد حدود أو أنهار فاصلة بين حضارتين مختلفتين[٥]. بمعنى آخر فإن الشعوب الجرمانية كان لها أسلوب حياتها الخاص الذي تعيشه وتألفه وينبغي علينا أن نفهمه لأنه أصبح فيما بعد جزءً لا يتجزأ من حضارة أوروبا في العصور الوسطى. وصحيح أن تراث القبائل الجرمانية لم يرقَ لحضارة الرومان الذين احتقروه، لكن هذا التراث استطاع أن يتطور ويمتزج بحضارة روما ليُنشيء حضارة جديدة هي حضارة أوروبا الغربية اللاتينية.

---

[1]Goffart, "Rome", p. 279.

[2]A. D. Lee, *Information and Frontiers: Roman Foreign Relations in Late Antiquity*, (Cambridge: Cambridge University Press, 1993), p. 101.

[3]P. Heather, "State, Lordship and Community in the West (c. AD 400-600)", *CAH*, vol. XIV, (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), p. 450.

[٤] للاطلاع على عدد من هذه الدراسات، راجع:

G. Halsall, *Barbarian Migration and the Roman West 376-568*, (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), pp. 35-57; S. Macdowall and A. McBride, *Germanic Warrior AD 236-568*, (Oxford: Osprey Publishing, 1996); P. Amory, *People and Identity in Ostrogothic Italy 489-554*, (Cambridge: Cambridge University Press, 1997), pp. 1-6; M. Todd, *The Early Germans*, 2nd edition, (Oxford: Blackwell Publishing Ltd, 2004), pp. 103-132.

[٥] انظر: G. Halsall, *Cemeteries and Society in Merovingian Gaul: Selected Studies in History and Archaeology*, 1992–2009, (Leiden: Brill, 2010), p. 107.

كان كل سكان الإمبراطورية الرومانية من الأحرار في جميع أرجائها يُعَدون مواطنين رومان. وبالطبع كان لكل مواطن روماني حقوق وعليه واجبات وكان القانون الروماني نفسه يُنظم تلك العلاقات بدقة. لذلك إن الفضل في تماسك الدولة الرومانية على مدار قرون يرجع إلى حد كبير لهيمنة فكرة الهوية الرومانية لدى السكان الذين اندمجوا داخل كيان سياسي واحد وهو الإمبراطورية الرومانية[١]. لقد كان للعديد من الشعوب التي تتبع روما حضارات عظيمة وتراث قومي كبير. أرادت تلك الشعوب التي صارت جزءً لا يتجزأ من المُكون السياسي الروماني أن تساهم في رخاء العالم الروماني وازدهاره. بيد أن القبائل الجرمانية التي تسابقت على دخول أراضي الرومان، حتى وإن كانت معجبة بحضارة الرومان، لم ترغب في أن تكون كيانات صغيرة داخل العالم الروماني الكبير بل أرادت أن تكون صاحبة كيانات مستقلة تحقق حلمها المنشود في بناء ممالك راسخة ومستقرة.

لقد نظر الرومان إلى الحدود الرومانية على أنها هي الحاجز الفاصل بين الحضارة والبربرية. لكن بعد الهجرات الجرمانية أصبحت تلك النظرة مجرد وهم، وصارت الجماعات الجرمانية هي أقرب الشعوب المتبربرة إلى الرومان وعلى وشك استيطان أراضيهم. تحتم على الرومان أن يتعاملوا مع القبائل الجرمانية ويحاولوا استيعابهم واحتواء نزعاتهم القبلية وجنوحهم إلى الفوضى. وربما لم يدرِ الرومان أن قبول الجرمان بوضعهم كمستوطنين خاضعين للإمبراطورية كان مجرد موقف مؤقت لن يستسلموا له. علاوة على ذلك فقد ساهم غياب السلطة الإمبراطورية المركزية وضياع هيبتها العسكرية في إعطاء الجماعات الجرمانية المزيد من الوقت لتحقق أكبر قدر ممكن من التوسع وتخلق واقعا جديا الأرض.

إن التغيير الذي شهدته أوروبا الرومانية في القرن الخامس الميلادي كان بلا شك هو التغير الأهم والأخطر الذي لم يسبق له مثيل. لم يكن ذلك التغيير الذي واجهته الإمبراطورية الغربية هو مجرد دخول عناصر أجنبية جديدة داخل الإمبراطورية. لقد تعودت الإمبراطورية من قبل أن تحوي أعراقا وأجناسا وثقافات مختلفة، لكن الاختلاف الجذري كان يكمُن في ظهور هويات جديدة ذات أنظمة سياسية واجتماعية على التراب الروماني وإنهاء الإمبراطورية نفسها ككيان سياسي يحكم شطرها الغربي. وبدلا من

[١] سيد أحمد الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري*، الطبعة الثالثة، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩١)، صـ ٥-٦.

أن تذيب الإمبراطورية القادمين الجدد من الجرمان داخلها ذابت هي في النهاية داخل مجتمعاتهم وتلاشت ولم تصبح سوى ذكرى حضارية من الماضي.

لقد أدى تغلغل الجرمان في المجتمع الروماني إلى حدوث تطورات حضارية. وفي حقيقة الأمر لم يكن ذلك التغلغل وليد القرن الخامس الميلادي بل سبقه بعقود طويلة. نتج عن ذلك الاحتكاك والاختلاط ظاهرة عدم وضوح التمييز بين "الرومانية" و"البربرية". لقد تداخَل المصطلحان تداخُلًا شديدا ولم يَعد أحد يستطيع بسهولة التمييز بين المصطلحين بسبب الامتزاج الشديد الذي طرأ بين الرومان والجرمان. علاوة على ذلك فإن كلمة "روماني" نفسها كان يشوبها الغموض في كثير من الأحيان بالرغم من أنها في الأساس معروفة المعنى والدلالة. ولنسأل أنفسنا هل كان كل من أصبح مواطنًا رومانيًا بُحكم القانون ينظر إليه الرومان على أنه روماني؟ في واقع الأمر فإن وصف الشخص بأنه روماني كان من وجهة نظر الكثيرين من الكتاب والأدباء الرومان لا يسير على قاعدة واحدة. إلى جانب ذلك كان مذهب كنيسة روما من وجهة نظرها أحد أهم مكونات الهوية الرومانية حيث كانت مذاهب الهراطقة لا تختلف عن البربرية في شيء[١]. لقد كان من الواضح أن لكل طبقة اجتماعية أو مجموعة ثقافية أو حتى على مستوى الأفراد مفهوم مختلف عن مصطلح "روماني" طبقا لمعايير خاصة بها[٢].

والسؤال المُلح الذي يتبادر إلى الذهن هو هل أصبحت نظرة الرومان للقبائل الجرمانية التي استقرت في الغرب خلال القرن الخامس الميلادي على أنها اكتسبت الصفات الرومانية بسبب التقليد والمُحاكاة ومُحيت عنها صفات البربرية؟ كان الكثير من زعماء الجرمان أو حتى من عامة أفراد العناصر الجرمانية يتحدث اللاتينية بطلاقة بل ومنهم من كان يتبع الأسلوب الروماني في الزي والطعام والأثاث فضلا عمن كان منهم يعتنق مذهب كنيسة روما. فهل كانت تلك الصفات المُكتسبة كافية للرومان ليعُدوا تلك العناصر البربرية "رومانية" ويتغاضوا عن أصولهم الجرمانية؟! إذا نظرنا في خطاب بعثهُ سيدونيوس أبوليناريس *Sidonius Apollinaris* للقائد أربوجاست *Arbogast* ذي الأصل الجرماني وقائد القوات المحلية في

[1]Jones, "Image of the Barbarian", p. 380.

[2]P. V. Rummel, "Migrazioni Archeologiche: Una Nota sul Problema dell'Identificazione Archeologica dei Barbari', Archeologia e Storia delle Migrazioni. Europa, Italia, Mediterraneo fra Tarda Età Romana e Alto Medioevo". *Atti del Convegno internazionale di studi, Cimitile-Santa Maria Capua Vetere*, 17-18 giugno 2010 (Cimitile 2011), p. 89.

ترير *Comes Trevirorum*[١]. يقول سيدونيوس لهذا الرجل: "لقد تشربت جيدا البلاغة والفصاحة الرومانية، ولا تمر اللغة البربرية بين شفتيك برغم محادثاتك معهم. أنت تشبه في فصاحتك وبسالتك أولئك القادة القدماء الذين لاتقل مهارة أقلامهم عن ضربات سيوفهم".[٢]

إن مثل تلك العبارات التي وردت في خطاب سيدونيوس تضعنا في حيرة. هل كان سيدونيوس يعتقد أن أربوجاست قد صار رجلا رومانيا بحكم الأمر الواقع بعد تشرُبه لغة وثقافة الرومان. ومما يدلل على حالة التناقض لدى الرومان أن سيدونيوس نفسه سخِر من ملابس الجرمان ووصفها بالملابس الهمجية التي لن ترقى أبدا لملابس الرومان الراقية المتحضرة[٣]. إن الملابس البربرية كانت تضايق الرومان ولا يرغبون في رؤيتها داخل طرقاتهم. في عام ٤١٦ م أصدر الإمبراطور هونوريوس *Honorius* (٣٩٣-٤٢٣ م) عدة مراسيم تُجرم ارتداء الزي البربري داخل روما، كمنع ارتداء السراويل الواسعة والمعاطف الملونة وتطويل شعر الرأس احتراما للمدينة العريقة[٤]. إن هذا الارتباك إن دل على شيء فإنه يدل على غموض الفارق بين الرومانية والبربرية حتى في عقول الرومان أنفسهم وفي أدبياتهم المكتوبة. ويعتقد الباحث أن بعض الرومان ربما كانوا يهتمون بمحاولات غير الرومان لتبني النمط الروماني في العيش

[١] سيدونيوس: هو رجل أرستقراطي روماني من أسرة عريقة في غالة. كان شاعراً وكاتبا ورجل دين. وُلد سيدونيوس ربما حوالي عام ٤٣٠ م. كان أبوه الوالي البرايتوري لغالة Praefectus Praetorio Galliarum في عهد الإمبراطور فالنتينيان الثالث. تزوج عام ٤٥٢ م من ابنة أفيتوس عضو مجلس الشيوخ والذي صار إمبراطورا للغرب (٤٥٥-٤٥٦ م). جرى انتخابه أسقفا في حوالي عام ٤٧٠ م في كليرمونت. وقد تعرض لعدة أزمات من أهمها أسره على يد القوط الغربيين. توفى سيدونيوس سنة ٤٨٩ م. انظر: Sidonius Apollinaris, *The Letters of Sidonius*, trans. O. M. Dalton, 2 vols, (Oxford: The Clarendon Press, 1915).
أربوجاست Arbogast: كان يحمل رتبة عسكرية ترير في غالة Comes Trevirorum منذ حوالي عام ٤٧٧ م. وهو قائد فرنجي الأصل كاثوليكي العقيدة. انظر:
The Prosopography of the Later Roman Empire, vol. 2: A.D. 395-527, J. R. Martindale, (Cambridge: Cambridge University Press, 1980), pp. 128-129.
ستتم الإشارة لهذا المرجع في الصفحات التالية بالصيغة المختصرة *PLRE*

[2]Sidonius, *Letters*, vol. 2, pp. 30-31.

[3]Sidonius, *Letters*, vol. 1, vol. 1, p. xcii.

[4]*The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions*, trans. C. Pharr et *al*., (Princeton: Princeton University Press, 1952), p. 415.

الإمبراطور هونوريوس Honorius: هو الابن الأصغر للإمبراطور ثيودوسيوس الأول. ولد عام ٣٨٤ م فى القسطنطينية من زوجة ثيودوسيوس الأولى أيليا فلاكيلا Aelia Flaccilla. وقد جعله أبوه إمبراطورا مشاركا عام ٣٩٣ م بعد وفاة الإمبراطور فالنتينيان الثانى. تزوج هونوريوس من ابنتي القائد ستيليكو ماريا Maria ثم ثيرمانتيا Thermantia. للمزيد، انظر: *PLRE*, vol. 1, p. 442.

والتفكير دون الاهتمام بمسألة الأصل العِرقي، لكن على الجانب الآخر وُجِدَ من الرومان من لا يعنيه أبدا أي محاولة من البرابرة لمحاكاة الرومان وظل رهينا لفكرة أن البرابرة لا يمكن أن يتحولوا إلى الحضارة أبدا.

عندما اختفت السلطة السياسية الرومانية المركزية في الغرب في القرن الخامس الميلادي وراح النظام الروماني يتلاشى تدريجيا صار المحتوى الثقافي الروماني في الغرب يغيب معه هو الآخر شيئا فشئيا. وبالتزامن مع انتصار الجرمان سياسيا وتحوُل أوروبا الرومانية إلى ممالك جرمانية كان نمطهم الحضاري الجديد يُرسخ أقدامه في الغرب الأوروبي بوتيرة متسارعة[١]. من هذا المُنطلق راح التراث الروماني الموجود داخل الأقاليم الغربية يذوب شيئا فشيئا داخل الكيانات الجرمانية الوليدة التي كان لها هي الأخرى نظمها وتقاليدها التي تسعى لأن تفرضها. علاوة على ذلك استطاعت الشعوب الجرمانية أن تتعامل بذكاء مع التراث الروماني فاستفادت منه قدر الإمكان ومزجت بعضه بما لديها من موروث حتى نتج عن ذلك كيان حضاري جديد كان حجر الأساس لبناء أوروبا الجديدة في حقبة ما بعد الإمبراطورية الرومانية.

على صعيدٍ آخر فإن العناصر الجرمانية وإن كانت تريد التوسع والاستيلاء على أقاليم الإمبراطورية الرومانية والاستقرار داخلها والسعي للتحرر من تبعيتها إلا أنها كانت إلى حد كبير تحترم الحضارة الرومانية، بل وكثير منهم كان حريصا على محاكاة أنماطها الحضارية. ومِما يُفهم أيضا من علاقات الجرمان بالرومان أن القادة الجرمان كانوا في غالب الأحيان أكثر احتراما وتوقيرا لروما وسمعتها الحضارية الرنانة أكثر بكثير من شعوبهم التي كانت تُسيرها مطامعها نحو السلب والنهب[٢]. وهناك من يدلل على ذلك بأن البرابرة الجرمان كانوا يتطلعون إلى خدمة الإمبراطورية، وكانت غاية قادتهم أن ينالوا مناصب عسكرية عليا في الجيش الروماني، فضلا عن التقرب من الأباطرة ونيل الشرعية منهم[٣]. إن هذا الاحتكاك بين القادة الجرمان والرومان قد خدم زعماء وملوك الجرمان أكثر فأصبحوا على دراية كبيرة بالشأنين العسكري والسياسي[٤].

[1]Jones, "Image of the Barbarian", p. 38٧.

[2]I. N. Wood, "The Barbarian Invasions and First Settlements", *CAH*, vol. XIII, (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), p. 530.

[٣] رأفت عبد الحميد، *الإمبراطورية البيزنطية بين العقيدة والسياسة*، الجزء الأول، (القاهرة: دار قباء، ٢٠٠٠)، صـ ١٣٢.

[4]Geary, "Barbarians and Ethnicity, p. 107.

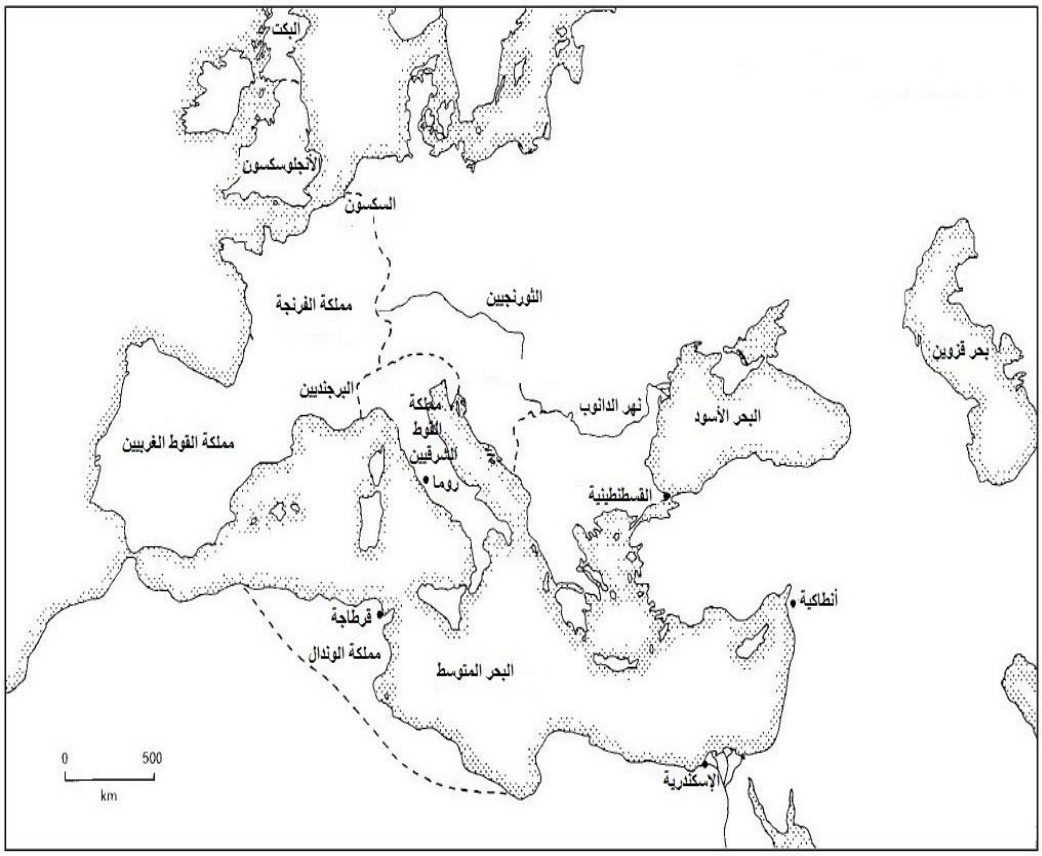

شكل رقم (١): خريطة الممالك الجرمانية الجديدة في أوروبا نهاية القرن الخامس الميلادي[1]

المصدر: A. Cameron, *The Mediterranean World in Late Antiquity AD 395-600*, (London: Routledge, 1993), p. 35

لقد رصدت الأثار كيف غيرت الفرق الجرمانية التي انضمت للجيش للروماني كمرتزقة من طبيعة الزي الموحَد الذي سارت عليه الفرق العسكرية الرومانية طوال العصر الإمبراطوري. لقد ظهرت داخل الجيوش الرومانية الأزياء البربرية التي كان يحتقرها الرومان كلبس الجنود للسروايل واستخدام الأحزمة الثقيلة على وسط الجسم، فضلا عن استخدام بعض أنواع السيوف الطويلة والرماح والفؤوس الجرمانية التي

[1] [تعريب الخريطة بواسطة الباحث]

لا يستعملها الرومان[١]. وقد وصف هالسال *Halsall* هذا النمط الجديد بأنه الشكل العام للجندي الروماني في العصر الإمبراطوري المتأخر والذي بات يشبه في مظهره الأعداء البرابرة[٢].

وعلى صعيدٍ آخر نجد في كتابات بعض المؤرخين الجرمان محاولات تمجيد القبائل الجرمانية وذكر مآثرها وبسالتها لتعويض النقص الذي يشعرون به أمام طوفان الحضارة الرومانية. فيذكر مثلا جوردانيس *Jordanes* أعمال القوط قبل زمن الرومان ويُمجد فيهم، فيزعم أنهم كانوا موجودين أيام الإغريق القدماء بل وكانوا بالتحديد عونًا للإسكندر الكبير ووالده من قبله، وأنهم تحالفوا معهم وكانت لهم بطولات وملاحِم[٣]. كذلك الفرنجة أنفسهم حاولت بعض كتاباتهم أن تنسبهم لأبطال الملاحم الإغريقية[٤]. وفي الواقع فإن محاولات القبائل الجرمانية لتمجيد نفسها وإظهار أهميتها الحربية والتاريخية كانت ظاهرة مستمرة من قِبل كُتابهم ومؤرخيهم حتي ينفون عن أنفسهم أنهم لا يمتلكون تاريخا مُشرفا[٥]. وإلى جانب ذلك انتشرت المحاولات الأدبية الرومانية لإضفاء المدح والثناء على الملوك الجرمان وتصويرهم في صورة المتحلين بالأخلاق والصفات الرومانية الرفيعة[٦].

إن أهم ما يمكن الخروج به من مسألة العلاقات الرومانية الجرمانية هو رصد بعض مظاهر التغير الاجتماعي والثقافي الذي حدث في أقاليم الغرب الروماني بعد الاستيطان الجرماني. لقد ظهر تأثر الجرمان بالرومان في مظاهر عديدة، وقد كان هذا التأثر أعمق من مجرد تقليد في الزي أو المعيشة. لقد

---

[١] حول تأثُر الرومان بعدد من الأسلحة الجرمانية على مدار قرون بشكل مُفصل، راجع: J. C. N. Coulston, "Late Roman Military Equipment Culture", *War and Warfare in Late Antiquity*, (Leiden: Brill, 2013), pp. 477-479.

[2] G. Halsall, *Roman West*, p. 104.

[3] Jordanes, *The Gothic History*, trans. C. C. Mierow, (Princeton: Princeton University Press, 1915), p. 69.

جوردانيس هو مؤرخ قوطي الأصل، ولا يُعرف الكثير عن حياته. ينتمى جوردانيس إلى عائلة قوطية عريقة، وهو من مؤرخي القرن السادس. كان يعمل في وظيفة حكومية، وقد كتب مؤلَفه عن تاريخ القوط هذا في القسطنطينية حوالى عام ٥٥١ م. كان جوردانيس يميل إلى تمجيد القوط والإشادة بأمجادهم وبطولاتهم وانتصاراتهم الحربية.

[٤] للمزيد عن محاولة عناصر الفرنجة ترويج هذه الأساطير، انظر: Todd, *Early Germans*, pp. 179-180.

[5] Wood, "Barbarian Invasions", p. 517.

[٦] حاول بعض الرومان تصوير الملوك الجرمان بأوصاف رومانية، للمزيد انظر:

C. Wickham, *Framing the Early Middle Ages: Europe and the Mediterranean 400–800*, (New York: Oxford University Press, 2005), p. 80.

شهدت الإمبراطورية الغربية على أراضيها التقاء أنماط مختلفة وعوالم متضادة لا يجمعها أي تشابه. امتزج البرابرة الجرمان بالرومان وخرجت الممالك الجرمانية إلى النور ووجدت نفسها وهو في طور النمو والارتقاء تُحاكي الكثير من النظم والعادات الرومانية وبخاصة في القانون والإدارة الحكومية[١].

كانت قوانين الممالك الجرمانية في غرب أوروبا بعد انتهاء الحكم الروماني خاصة بكل شعب جرماني على حدة، وكانت معظم هذه القوانين التي تختلف كثيرا عن القوانين الرومانية مستمدة من التقاليد والأعراف الجرمانية القديمة[٢]. وبحلول نهاية القرن السادس كان عدد قليل من القوانين الجرمانية قد بدأ يخرج إلى الوجود كالقانون الفرنجي والقانون البرجندي فضلًا عن قانون القوط الغربيين الذى يرجع إلى النصف الثاني من القرن الخامس[٣]. بيد أنه حتى بعد زوال الحكم الروماني في الغرب ظلت القوانين الرومانية المعروفة معمولا بها لفترة في الممالك الجرمانية الناشئة عدا بريطانيا. ويُفسَر هذا الاستثناء في حالة بريطانيا بسبب ضعف المؤثرات الرومانية فيها وانتشار بعض القوانين المحلية والقوانين الأنجلوسكسونية[٤].

وتجدر الاشارة إلى أن القوانين الجرمانية لم تخرج كلها للوجود في وقت واحد، فمعظم تلك القوانين كانت قد بدأت بوادرها في الظهور خلال القرنين الخامس والسادس. على الرغم من ذلك فهناك عدد آخر من الشعوب الجرمانية التي لم تبدأ تدوين نصوص قوانينها إلا بعد القرن السادس كالجماعات الأنجلوسكسونية في الجزر البريطانية[٥]. عند تسليط الضوء على بعض القوانين الجرمانية سنجد مدى تأثير

---

[1]Wood, "Barbarian Invasions", p. 537.

من أفضل الأمثلة التي يمكن أن نذكرها في هذا الشأن هو مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا بقيادة ثيودريك، والذي أسس مملكة قوية وطورها على النظام الروماني قانونيا وإداريا. لمزيد من المعلومات، انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، *تاريخ أوروبا في العصور الوسطى*، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٦)، صـ ٨٧.

[2]T. M. Charles-Edwards, "Law in the Western Kingdoms between the Fifth and the Seventh Century", *CAH*, vol. XIV, (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), pp. 262-263.

[٣] حول قوانين الشعوب الجرمانية بعد تأسيس دولهم، انظر: Halsall, *Roman West*, p. 462.

[4]Charles-Edwards, "Western Kingdoms", p. 286.

[٥] من الجدير بالذكر أيضا أنه بمرور الوقت احتكم القوط الشرقيين للقانون الروماني وتركوا قوانينهن الخاصة، إلا أن كل من القوط والرومان لم يخضعا لنفس المحاكم. لقد ظل للقوط الشرقيين محاكم خاصة بهم وللرومان أيضا محاكمهم الخاصة. حول هذا الموضوع، راجع: محمد مرسي الشيخ، *الممالك الجرمانية في أوروبا العصور الوسطى*، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٥)، صـ ١٦٦-١٦٧؛ سعيد عاشور، *العصور الوسطى*، صـ ٨٧.

القانون الروماني عليها. لقد سيطرت فكرة مزج العادات الجرمانية بالحضارة الرومانية على كثير من موضوعات التشريع القانوني عند الممالك الجرمانية، ويظهر ذلك عند تتبع بعض قوانين الشعوب الجرمانية كمظهر من مظاهر التغير التي حدثت في غرب أوروبا بعد زوال الإمبراطورية الرومانية الغربية[١].

إن أقدم مجموعة قانونية للقوط الغربيين ترجع إلى عهد الملك إيوريك *Euric* (٤٦٦-٤٨٤ م) وتُبين تأثُرهم بالقوانين الروماني[٢]. فقد أمر إيوريك عندما كان في تولوز بتدوين العادات والأعراف القوطية بالإضافة إلى ما أصدره أسلافه من الحكام القوط من تشريعات ومراسيم. كما أضاف إليها ما أصدره هو من قوانين ومراسيم، فضلا عن بعض التشريعات الرومانية. وقد تم الانتهاء من كتابة تلك المجموعة التشريعية في القرن الخامس الميلادي[٣]. على صعيدٍ آخر ظلت بعض القوانين الرومانية مستمرة وتُطبَق بفاعلية بواسطة الملوك الوندال داخل مملكتهم في شمال إفريقيا، بالاضافة إلى ما أصدره الملوك الوندال أنفسهم من تشريعات. وقد وجد الباحثون فيما تبقى من قوانين للملك الوندالي هونريك *Huneric* (٤٨٤-٤٧٧ م) أنها تتشابه إلى حد كبير مع القوانين الإمبراطورية[٤].

من هذا المنطلق عكفت الدراسات الحديثة مؤخرا على دراسة المجموعات القانونية للممالك الجرمانية الجديدة وكانت نتيجة تلك المجهودات أن فتحت بابا جديدا لفهم إحدى الجوانب الحضارية عند الممالك

---

[١] إبراهيم على طرخان، *دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: دولة القوط الغربيين*، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨)، صـ ١٤٢.

حول نظرة أعمق لبعض أشكال التداخل بين القوانين الرومانية والجرمانية راجع: Charles-Edwards, "Western Kingdoms", pp. 282-284.

[٢] إيوريك Euric: هو أحد أبناء ثيودريك الأول ملك القوط الغربيين. عن تفاصيل حياته،انظر: *PLRE*, vol. 2, pp. 427-428.

[٣] إبراهيم طرخان: *العصور الوسطى*، صـ ١٤٣.

[٤] عن هذا التشابه بين قوانين الملك هونريك وعدد من القوانين الرومانية، راجع:

J. K. Parsons, *The African Catholic Church under the Vandals, 429-533*, PhD. Dissertation, (University of London), p. 69-70.

هونريك Huneric: كان أكبر أبناء جايسريك. تولى عرش مملكة الوندال بعد أبيه. تزوج من إيودوكيا ابنة الإمبراطور فالنتينيان الثالث وأنجبت له هيلدريك Hilderic الذي سيتولى العرش الوندالي في عام ٥٢٣ م. عُرف عنه بعض التسامح تجاه أهل شمال أفريقيا من الكاثوليك. للمزيد عن عهده، انظر: *PLRE*, vol. 2, pp. 572-573.

الجرمانية[١]. ويرى الباحث أن تأثُر الجرمان بالقانون الروماني يضعنا أمام حقيقة مؤكدة مفادها أن هؤلاء الملوك الجدد عرفوا السياسة الرومانية وفطنوا لأهمية القانون ودوره في سياسة الشعوب وبخاصة أن شعوبهم القبلية النشأة لها باع كبير من التصرف بهمجية.

استمر الملوك الجدد بعد أن خرجت الممالك الجرمانية للحياة في محاكاة بعض سياسات الأباطرة في كثير من الأحيان. على سبيل المثال كان هناك من بين ملوك الجرمان من يتدخل في المسائل الدينية وشئون الكنيسة على غرار ما كان يفعله الإمبراطور الروماني الذي يرى نفسه المهيمن على الشأنين الدنيوي والديني[٢]. إلى جانب ذلك أيضا كان هناك من الملوك الجرمان مَن يُحاكي الأباطرة في الحرص على مصاهرة النبلاء وعدم اختلاط سلالتهم بالعامة[٣]. وقد كان الملوك الجرمان بوجه عام يحرصون على استرضاء النبلاء وإقامة التحالفات المتينة معهم وتقويتها بالمصاهرة في كثير من الأحيان، وكل هذه التصرفات كانت تشبه إلى حد كبير تصرفات الأباطرة الرومان الذين دأبوا على تقوية مراكز حكمهم ومواطن قوتهم[٤]. لقد حرص الملوك البرابرة في بلاطهم حديث النشأة أن يجعلوا منه قِبلة للنبلاء والأثرياء والكُتاب والفلاسفة على غرار البلاط الروماني. علاوة على ذلك اهتم الملوك الجرمان بمنح الهبات والعطايا باستمرار لأتباعهم لكسب ولائهم وحيازة ثقتهم[٥].

الجدير بالذكر أن هناك من تبنى من الملكيات الجرمانية عددا من الوظائف التي كانت موجودة داخل الجهاز الإداري الروماني. لقد وُجدت بعض مظاهر محاكاة الممالك الجرمانية للنظام الإداري الروماني من خلال التشابه في بعض الوظائف واختصاصات حامليها. على سبيل المثال في بلاط الوندال، وفي عهد جايسريك *Gaiseric* (٤٢٨-٤٧٧ م)[٦]، شاعت عدة مناصب إدارية تسير على غرار

---

[١] لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع، انظر: Charles-Edwards, "Western Kingdoms", pp. 284-287.

[2] Wood, "Barbarian Invasions", p. 537; Halsall, *Roman West*, p. 46٦.

[٣] حول تلك المظاهر التي برزت عند الممالك الجرمانية، انظر: Halsall, *Roman West*, p. 492; Heather, "Lordship and Community", p. 453.

[4] Heather, "Lordship and Community", p. 453.

[5] Heather, "Lordship and Community", p. 446.

[٦] جايسريك (جايزريك) Gaiseric: تُكتب أيضا جينسيريك Genseric. خلف أخاه غير الشقيق جونديريك في قيادة الوندال. كان ابنا غير شرعي لجوديجيسيل. يُعد هو المؤسس الحقيقي لمملكة الوندال في شمال إفريقيا. للمزيد، أنظر: *PLRE*, vol. 2, pp. 496-499.

المُسمى والمضمون الوظيفي الروماني[١]. من ناحية أخرى سعت بعض الممالك الجرمانية كمملكة الوندال إلى الاستعانة بقدر كبير من خبرة الموظفين الرومان السابقين، وإشراك عدد منهم في الجهاز الإداري الناشىء في المملكة الوندالية[٢].

شهدت أيضا الخارطة اللغوية لأوروبا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب عام ٤٧٦ م العديد من التغييرات الجديدة (شكل رقم ٢). عانت اللغة اللاتينية في بعض الأماكن في الغرب الأوروبي من طغيان اللسان الجرماني، فقد أزاحت عناصر الفرنجة اللغة اللاتينية من مناطق عديدة في بلاد الغال. إلى جانب ذلك فقد هيمنت اللغات الأنجلوسكسونية على بريطانيا بسبب ضعف اللغة اللاتينية هناك. لكن بالرغم من انتشار لغات القوط والوندال والفرنجة وغيرهم داخل أراضي الامبراطورية الرومانية الغربية إلا أنها لم تصمد أمام اللاتينية وزالت مع الوقت في نهاية الأمر، وهذا يدل على فقر الثقافة الجرمانية وعدم اعتمادها على أساس حضاري عريق قائم على فكر وعلم عميق مثلما هو موجود في التراث اللاتيني[٣].

[١] من بين أمثلة تلك المناصب منصب الوزير أو المُشرف الملكي Praepositus Regni الذي عَدهُ البعض أنه ربما كان المنصب المُرادف لمنصب الرئيس المسئول عن إدارات أو دواوين الحكومية المركزية Magister Officiorum المعروف داخل الجهاز الإداري الروماني. إلى جانب ذلك ضم بلاط الوندال منصبا آخر وهو المسئول عن الممتلكات الملكية Procuratores والذي عرفهُ الوندال عن طريق الرومان. انظر: Parsons, *Vandals*, pp. 68.

[٢] للمزيد عن دور بعض من الموظفين الرومان في مملكة الوندال في شمال إفريقيا، انظر: Parsons, *Vandals*, pp. 68-69.

[٣] نعيم فرح، *الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى*، الطبعة الثانية، (دمشق: منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٠)، صـ ٢٧٧.

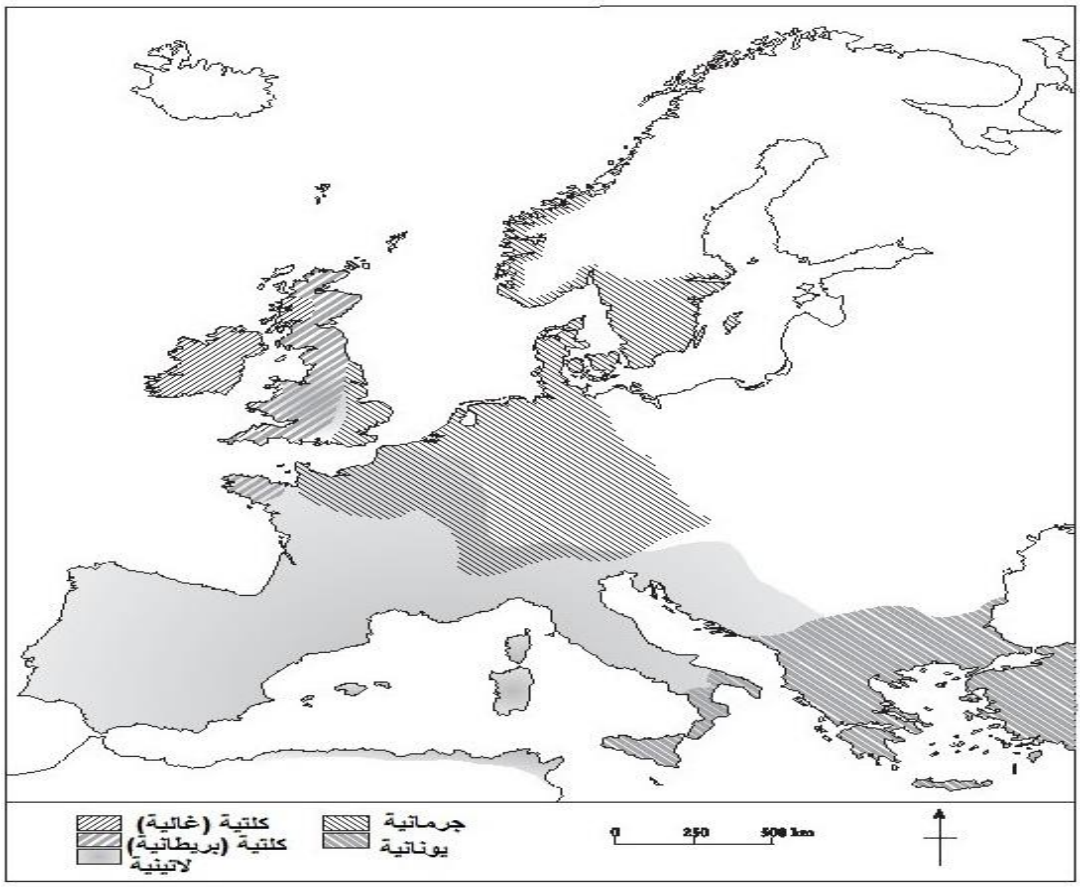

شكل رقم (٢): اللغات في أوروبا في بداية عام ٥٠٠ م[1]

المصدر: J. M. H. Smith, *Europe after Rome: A New Cultural History 500–1000*, (Oxford: Oxford University Press, 2005), p. 18.

على صعيدٍ آخر كانت الفوارق العرقية بين القادمون الجدد من الجماعات الجرمانية وبين السكان الرومان موجودة ومعروفة منذ تأسيس الممالك الجرمانية في الغرب خلال القرن الخامس. فكانت كل مملكة جرمانية تضم العناصر التي تنتمي إليها وتتسمى باسمها كمملكة القوط ومملكة الفرنجة ومملكة الوندال. بيد أن هذه الفوارق قد راحت تتلاشى تدريجيا فيما بعد القرن الخامس الميلادي وأصبح سكان كل مملكة جرمانية يُعامَلون على أنهم مواطنون حتى وإن كانوا من الرومان أو من أية أعراق أخرى. لقد كان

[1] [تعريب الخريطة بواسطة الباحث]

التغيير الذي وُصِف بالجذري هو اختفاء كلمة "روماني" بمرور الوقت وإطلاق كلمة قوطي أو فرنجي أو غير ذلك على المواطن القاطن داخل حدود أي مملكة من تلك الممالك الجديدة بغض النظر عن الأصل، وهو ما ظهر بوضوح أثناء القرون اللاحقة التي تَلَت القرن الخامس الميلادي[١].

من ناحية أخرى فإن غالبية الشعوب الجرمانية كانت قد اعتنقت المسيحية على المذهب الأريوسي. وكان هذا بلا شك عاملا من العوامل التى أحدثت تغييرا في حضارة أوروبا الجديدة في مرحلة ما بعد الإمبراطورية الرومانية الغربية. فمن الطبيعي أن يُنظر لتلك الكيانات الجرمانية الأريوسية على أنها خارجة على العقيدة الكاثوليكية المهيمنة على إيطاليا وبعض مناطق أوروبا والتي يرعاها بابا كنيسة روما. لا شك أن هذا الاختلاف المذهبي قد جعل هناك حاجزا ثقافيا ما بين هؤلاء القادمون الجدد وبين السكان الأصليين المنتمين لمذهب كنيسة روما، لا سيما وأن هناك من اتخذ من الاضطهاد المذهبي وسيلة له في مواجهة الكاثوليكية في مملكته كما كان الحال عند الوندال أو القوط في إسبانيا[٢]. لقد كان لتحوُل بعض الشعوب الجرمانية إلى الكاثوليكية مثل الفرنجة وغيرهم أثر كبير من حيث نيل رضاء الكنيسة والتقرب من الشعوب الأصلية.

من ناحية أخرى كانت المدن داخل الممالك الجرمانية الناشئة تحظى بقدر كبير من الاهتمام كعنصر مهم من عناصر الحضارة مثلما كان الوضع عند الرومان. اهتم الملوك الجرمان بالمدن وتزيينها وتشييد المرافق العامة بها وعدّوها أساسا لتثبيت حكمهم، وحواضر مدنية تليق بمُلكهم كما كان الحال عند أباطرة الرومان. علاوة على ذلك كانت المدن تُمثل لدى الملوك الجرمان القاعدة الأساسية لانطلاق جيوشهم والمراكز الأساسية لتحركات قواتهم العسكرية. إلى جانب ذلك لم ينس الملوك الجرمان أو حتى النبلاء والأرستقراطيين منهم أن يهتموا بالريف، بل ساروا على غرار النمط الروماني السابق عليهم بتنمية الريف وتشييد الضياع الواسعة التي تحوي المزارع الواسعة والمنازل المُحصنة[٣].

---

[1] Heather, "Lordship and Community", p. 453.

[٢] عن اتباع بعض ملوك الجرمان الأريوسيين لسياسة الاضطهاد، انظر: وسام عبد العزيز فرج، *تاريخ الإمبراطورية البيزنطية*، (٢٠٠٨)، صـ ٧٩.

[٣] للمزيد عن تلك الأمثلة في الحضر والريف بداية من القرن السادس الميلادي، انظر: Heather, "Lordship and Community", pp. 455-456.

لقد اتضح جليا أنه كان من مظاهر التغيير الجديد الذي شهدته أوروبا انفراط عِقد الوحدة السياسية للإمبراطورية الرومانية، وخروج دول جديدة من عباءة الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادى وما تلاه من قرون لاحقة[١]. تتبقى الإشارة إلى أن زعماء القبائل الجرمانية الذين أقاموا ممالكهم على الأراضي الرومانية كان أكثرهم يحترم الإمبراطورية ويعترف بإمبراطور الشرق والجالس في القسطنطينية ويدينوا بالتبعية له حتى وإن كانت تبعية اسمية فقط[٢]. لقد حافظت الممالك الجرمانية الناشئة على قدر كبير من أنماط المجتمع الروماني وثقافته ونظامه الإداري على الأقل في فتراتها الباكرة قبل أن تتطور ويظهر طابعها الخاص فيما بعد[٣].

وفي نهاية الأمر لا يسعنا إلا أن نذكر أن حال أوروبا الغربية فيما بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية قد تشابه إلى حد كبير مع حال أوروبا الغربية عند تكوين الإمبراطورية الرومانية. فقد كان الرابط بين أوروبا في الحالتين هو عدم التجانس العرقي واللغوي. لقد قامت الإمبراطورية الرومانية بجمع أعراق وأجناس ولغات مختلفة تحت لوائها فصار الناس في إيطاليا وغالة وإسبانيا وشمال إفريقيا وغيرهم يجمعهم رابط واحد وهو أنهم ينتمون إلى الإمبراطورية الرومانية. إلى جانب ذلك استطاع الرومان أن يذيبوا الفوارق بين ثقافتهم وثقافة اليونان، فاستطاعوا استيعابها بإزلة الخط الفاصل بين الثقافتين والانصهار في حضارة واحدة. هكذا كان الحال أيضا بين الممالك الجرمانية التي قامت على أراضي أوروبا الرومانية. مع مرور الوقت انصهر الرومان داخل الممالك الجرمانية بمسمياتهم المختلفة من قوط وفرنجة وغير ذلك من ممالك نشأت على أنقاض الإمبراطورية الغربية المُنهارة فخرجت في النهاية قوانين ونظم ولغات جديدة.

كان هذا هو الحال في غرب أوروبا اللاتيني في مرحلة ما بعد الحكم الروماني، حيث برزت كيانات سياسية متعددة بعد أن كانت الهوية والعادات والثقافة رومانية الطابع. على الجانب الآخر كان هناك النصف الشرقي المتبقي من الإمبراطورية والذي تتزعمه القسطنطينية والذي كان له شأن آخر[٤]. وقفت

[١] انظر: رأفت عبد الحميد: *الإمبراطورية البيزنطية*، جـ ١، صـ ١٠٨.

[٢] حينما كان الشطر الغربي من الإمبراطورية الرومانية يتداعى وينهار لم يستطع الشطر الشرقي تقديم الدعم والمساندة له. انشغلت القسطنطينية بأقاليمها الشرقية الغنية والمأهولة بالسكان، وكان تركيزها منصبا على عدوها التقليدي وهي الإمبراطورية الفارسية، واكتفى الإمبراطور بالسيادة الاسمية على روما. حول هذا الموضوع، انظر: وسام فرج: *الإمبراطورية البيزطية*، صـ ٦٧-٦٨.

[3] Wood, "Barbarian Invasions", p. 537.

[٤] إن من مظاهر التغيير في الخريطة الأوروبية السياسية هو بداية تأسيس المسئولية الشرقية تجاه الإمبراطورية الغربية الضائعة منذ سقوط إيطاليا، حين أصبح الأباطرة في القسطنطينية هم الحكام الرسميين لروما، وإن كانت مسئولية اسمية فقط. بدأت فكرة السياسة

القسطنطينية حاجزا منيعا أمام التدفق الجرماني. غير أنه في النهاية برز عالَمان جديدان متباعدان في الشرق والغرب، وربما كان هذا أهم تحول أو تغير طرأ على أوروبا في حقبة ما بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية. لقد تشكلت ثقافتين حَكَم كل منهما عالم العصور الوسطى. كانت هناك القسطنطينية التي أكملت مسيرة روما لكن بثوب بيزنطي يوناني، وممالك في أوروبا الغربية والتي حملت شعار أوروبا اللاتينية الكاثوليكية.

الشرقية والتي تبنتها القسطنطينية لتركيز جهودها حول ولاياتها الشرقية وعجزها عن مساعدة القسم الغربي تخف حدتها. ومن ثم برزت إلى الوجود فكرة استرداد الغرب واستعادة أراضي الرومان، ولم تختفِ الفكرة من ذهن أباطرة الشرق إلى أن تحققت على يد واحد منهم وهو الإمبراطور جستنيان الأول. عن فكرة وحدة الإمبراطورية وعالميتها التي ظلت تراود القسطنطينية بعد سقوط الغرب، انظر: وسام فرج: *الإمبراطورية البيزطية*، صـ ١٢٠-١٢٢.

قائمة المصادر والمراجع والمُختصرات

أولًا: المصادر الأجنبية

Jordanes, *The Gothic History*, trans. C. C. Mierow, (Princeton: Princeton University Press, 1915).

Sidonius Apollinaris, *The Letters of Sidonius*, trans. O. M. Dalton, 2 vols, (Oxford: The Clarendon Press, 1915).

The Theodosian Code *and Novels and the Sirmondian Constitutions*, trans. C. Pharr et *al*., (Princeton: Princeton University Press, 1952).

ثانيا: المراجع الأجنبية

Amory, P., *People and Identity in Ostrogothic Italy 489-554*, (Cambridge: Cambridge University Press, 1997).

Cameron, A., *The Mediterranean World in Late Antiquity AD 395-600*, (London: Routledge, 1993).

Charles-Edwards, T. M., "Law in the Western Kingdoms between the Fifth and the Seventh Century*", CAH*, vol. XIV, (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), pp. 260-287.

Coulston, J. C. N., "Late Roman Military Equipment Culture", *War and Warfare in Late Antiquity*, (Leiden: Brill, 2013), pp. 463-492.

Geary, P. J., "Barbarians and Ethnicity", *Interpreting Late Antiquity: Essays on the Postclassical World*, (Cambridge: Belknap Press of Harvard University Press, 2001), pp. 107-129.

Goffart, W., "Rome, Constantinople, and the Barbarians", *American Historical Review*, vol. 86, No. 2 (The University of Chicago Press, Apr., 1981), pp. 275-306.

Halsall, G., *Barbarian Migration and the Roman West 376-568*, (Cambridge: Cambridge University Press, 2007).

Halsall, G., *Cemeteries and Society in Merovingian Gaul: Selected Studies in History and Archaeology, 1992–2009*, (Leiden: Brill, 2010).

Heather, P., "State, Lordship and Community in the West (*c*. AD 400-600)", *CAH*, vol. XIV, (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), pp. 437-468.

Jones, W. R., "The Image of the Barbarian in Medieval Europe", *Comparative Studies in Society and History*, vol. 13, No. 4 (Oct., 1971), pp. 376-407.

Lee, A. D., *Information and Frontiers: Roman Foreign Relations in Late Antiquity*, (Cambridge: Cambridge University Press, 1993).

Macdowall S., and **McBride** A., *Germanic Warrior AD 236-568*, (Oxford: Osprey Publishing, 1996).

Parsons, J. K., *The African Catholic Church under the Vandals, 429-533*, PhD. Dissertation, (King's College: University of London).

PLRE: *The Prosopography of the Later Roman Empire*, vol. 1: A.D. 260-395, J. R. Jones & R. Martindale & J. Morris, (Cambridge: Cambridge University Press, 1971); vol. 2: A.D. 395-527, J. R. Martindale, (Cambridge: Cambridge University Press, 1980).

Rummel, P. V., "Migrazioni Archeologiche: Una Nota sul Problema dell'Identificazione Archeologica dei Barbari', *Archeologia e Storia delle Migrazioni. Europa, Italia, Mediterraneo fra Tarda Età Romana e Alto Medioevo*". Atti del Convegno internazionale di studi, Cimitile-Santa Maria Capua Vetere, 17-18 giugno 2010 (Cimitile 2011), pp. 85-95.

Smith, J. M. H., *Europe after Rome: A New Cultural History 500–1000*, (Oxford: Oxford University Press, 2005).

Todd, M., *The Early Germans*, 2nd edition, (Oxford: Blackwell Publishing Ltd, 2004).

Wickham, C., *Framing the Early Middle Ages: Europe and the Mediterranean 400–800*, (New York: Oxford University Press, 2005).

Wood, I. N., "The Barbarian Invasions and First Settlements", *CAH*, vol. XIII, (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), pp. 516-537.

ثالثا: المراجع العربية

إبراهيم على طرخان، *دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: دولة القوط الغربيين*، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨).

رأفت عبد الحميد، *الإمبراطورية البيزنطية بين العقيدة والسياسة*، الجزء الأول، (القاهرة: دار قباء، ٢٠٠٠).

سيد أحمد الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري*، الطبعة الثالثة، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩١).

سعيد عبد الفتاح عاشور، *تاريخ أوروبا في العصور الوسطى*، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٦).

محمد مرسي الشيخ، *الممالك الجرمانية في أوروبا العصور الوسطى*، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٥).

نعيم فرح، *الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى*، الطبعة الثانية، (دمشق: منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٠).

وسام عبد العزيز فرج، *تاريخ الإمبراطورية البيزطية*، (٢٠٠٨).